محاضرة رقم 02:

أسباب الاضطرابات السايكوسوماتية

تعريف الاضطراب السايكوسوماتي :الاضطرابات السايكوسوماتية هي اضطرابات جسمية موضوعية ذات أساس و أصل نفسي ، و ذلك بسبب الاضطرابات الوجدانية الشديدة التي تؤثر على المناطق و الأعضاء التي تتحكم فيها الجهاز العصبي الذاتي ، او هي حصيلة التفاعل بين النواحي النفسية و النواحي الجسمية ، و يتزايد الاهتمام بالاضطرابات النفسية الجسمية بعد أن تبين للباحثين أن معظم الأمراض الجسمية لها مكون انفعالي لا يقل أهمية عن أي مكون آخر ، يقول الطبيب النفسي الانكليزي "برناردماليت:' أننا لا نستطيع أن نزن الإحساس بالذنب ، كما أننا لا نستطيع أن نحسب الجرعة المعدية من الانفعالات الخوف ،بالرغم من أن هذه العوامل تسبب الأمراض مثلها مثل الجراثيم و الفيروسات'

3-أسباب الاضطرابات النفسجسمية:

يتضح لنا أن مصطلح النفسجسمية يتم تنازله لمعنيين : احدهما بالمعنى القائل خاصة في ميدان الطب أن النظر إلىالإنسان ككل على أساس أنه نظام ديناميكي معقد و في حالة عدم اتزان هذا الكل يستجيب لتغيرات البيئة و للتغيرات في نطاق نفسه ، و إذا اعتبرنا الخلل أيا من وظائفه اعتدى الخلل الوظائف الأخرى ، أما المعنى الثاني فينطلق على اضطرابات معينة مثل ضغط الدم المرتفع ، و القرحة المعدية ، الربو و التي يبدو فيها أن العوامل النفسية تعلب دورا كبيرا و دراسة مثل هذه الاضطرابات يضع أمامنا موضوعا أخر و هو البحث في مسالة الأسباب و عمليات الأسس المرضية .

وتتمركز المفاهيم النفسجسمية الأساسية حول تلك المظاهر الخاصة للوظيفة النفسيولوجية ككل ، و التي تؤدي فيها الأحداث الخارجية أو الداخلية إلى استشارة عمليات استجابة للمخ و تبع على نشاط نسق الغدد الصماء

العصبية و بذلك تتغير وظيفة العضو (الهدف) أو النظم الحركية ، بمعنى آخر يتضمن هذه المفاهيم أحداث نفسية كعوامل مسببة للاضطرابات الاحشائية.

1–الشدائد أو الضغوط: على الرغم من أن الأسباب في كل الأمراض متعددة فان لجنة خبراء الصحة العقلية أكدت في تقريرها 1963 أن حجر الزاوية في كل الاضطرابات النفسجسميةهو الضغوط التي تقع على الإنسان وطأتها ، و توصف الشدة (Stresse) بأنها قادرة على إنتاج تغيير في الكائن الحي يعرف باسم العناء (Stains) أي أن الشدائد أو الضغوط النفسية عبارة عن أحداث تحدث تأثيرات داخلية عن طريق الجهاز الإدراكي للكائن الحي.

على أي حال من الممكن منع القلق من التطور إلى قمته بعمليات دفاعية نفسية ، بيد أن هذا في العادة و إن كان يقلل من الأحداث الفسيولوجية إلا انه لا يبعدها تماما ، و تظل كمية من انفعال القلق باقية لتكون لها أهميتها في المرض ، و يمكن النظر إلى العملية من ناحية الكف، فكثيرا ما يوجد حائل دون التعبير اللغوي أو النفسي الحركي عن القلق أو الشعور بالعداوة ، و فيتحول التفريغ من الجهاز العصبي المركزي إلى الجهاز العصبي الأوتونومي (المستقل) ، تتم تغيرات مرضية في الأوعية و في الأحشاء.

2–النوعية : من أهم المسائل المثيرة للجدل مشكلة النوعية ، أي هل هناك نوعية بين طبيعة الشدة النفسية و نظام العضو الداخل في العملية ، أمأن الشدة النفسية تعمل بطريقة غير نوعية على العضو المهيأ للمرض و الذي يتوقف استعداده للمرض على عوامل مثل الاستعداد الوراثي أو العدوى أو التهيئة الشرطية السابقة ، إن لدينا معلومات كثيرة تدور حول هذه المشكلة مستمدة من التجارب المعملية و نم الخبرة الإكلينيكية ، غير أن هذه المعلومات متعارضة و متناقضة ، فبنما تؤكد الانطباعات الإكلينيكيةأن هناك علاقة نوعية بين الشدة النفسية و الاضطراب الجسماني الناتج بيد انه لا توجد لدينا معلومات توضح لنا كيف يتم ذلك ، و يمكن تلخيص هذه الأسباب النوعية فيما يلي:

أ-وجود استعداد تكويني يقوم على الوراثة.

ب-وجود استعداد تكويني نتيجة للخبرات الأولى و التطور الأول و المقصود بذلك الخبرات الفسيولوجية و النفسية و يدخل في ذلك فترة الحمل و فترة المهد.

ج-تغيرات الشخصية في مراحل العمر المتقدمة التي تؤثر في نمو الأعضاء.

د-ضعف عضو من الأعضاء كما جاء في حالات الإصابة أوالعدوى

هـ-وجود العنصر في حالة نشاط لحظة الإجهاد النفسي أوالثورة الانفعالية.

و-المعنى الرمزي للعضو في نظام شخصية الفرد.

ز-توقف النمو النفسي و بالتالي جمود العضو في تطور وظائفه.

خصائص الاضطرابات النفسجسمية :

إن مصطلح(Psychosomatique)تستخدم بعدة معاني ، و المعنى الأوسع استخداما يحددها بعدد من الأمراض ذات خصائص معينة و الأقل شيوعا يعرفها بأنها فلسفة كلية في الطب و التي تنظر للمرض كعلاقة بين الفرد و بيئته ،و كلا الاثنين يعتبران تكاملا للنواحي النفسية و المادية و يرى تطبيقه العملي في نظر الطبيب في علاجه و تناوله للمريض أيا كان الاضطراب ، و يهتم التحليل النفسي بالعمليات اللاشعورية ، و نظرية التعلم تؤكد على الشريط في الجهاز العصبي اللاإرادي و تتميز الاضطرابات السايكوسوماتية بالخصائص الآتية:

1-اضطراب في الوظيفة مع إصابة العضو نفسه ،و هي بهذا تختلف عن الاضطرابات العقلية

2-تلعب الاضطرابات الانفعالية دورا أساسيا فيها سواء من ناحية بدئها أو ظهورها أو عودة الأعراض و هي لهذا تختلف عن الاضطرابات العضوية.

3-أنها اضطرابات مزمنة

4-تميل للارتباط بالاضطرابات سيكوسوماتية أخرى و قد يحدث هذا في فترات مختلفة من حياة المريض.

5-توجد فروق بين الجنسين في حدوثها ، فالربو يحدث لدى الأولاد و البنات بنسبة واحدة قبل البلوغ ،و بعد ذلك يكون أقل لذة الرجال من النساء ، و قرحة القولون تكون أعلى لدى الرجال و الغدة الدرقية عند النساء.